

أضواء البيان

@ 75 ارزقني : يا هادي اهدني ، يا توّاب تب علي ، وهكذا رتب دعاءك تكن من المخلصين . . .

مسألة .

يؤخذ من كلام ابن العربي هذا ما يقوله الفقهاء في ذكر اسم الله عند الذبح أن يقتصر على قوله : بسم الله ، ولا يقول الرحمان الرَّحِيم ، لأن اسم الرحمان الرَّحِيم يقتضي الرَّحمة ، وهي لا يتناسب معها الذبح ورسول الروح . .

ويؤيد هذا ما ذكره ابن قدامة أنه ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ذبح قال : (بسم الله والله أكبر) أي أكبر وأقدرك عليها ، وهو أكبر منك عليك منها . . فإذا فقه الإنسان أسماء الله الحسنى على هذا النحو ، كان حقاً قد أحصاها وحفظها في استعمالها في معانيها ، فكان حقاً من أهل الجنة ، والعلم عند الله تعالى . . ولقد استوقفني طويلاً مجيء هذه الآيات في نهاية هذه السورة تذيلاً لها وختاماً وبأسلوب الإجمال والتفصيل لقضايا التوحيد ، وإقامة الدليل ، وإلزام أهل الإلحاد والتعطيل ، فمكثت طويلاً أتطلب ربطها بما قبلها ، فلم أجد في كل ما عثرت عليه من التفسير أكثر من شرح المفردات ، وإيراد بعض التنبهات مما لا ينفذ إلى أعماق الموضوع ، ولا يشفي عيلاً في مجتمعاتنا الحديثة ، أو يذهب شبه المدنية المادية ، فرجعت إلى السورة بكاملها أتأمل موضوعها فإذا بها تبدأ أولاً بتسبيح العوالم كلها لله العزيز الحكيم ، وهذا أمر فوق مستوى الإدراك الإنساني ، ثم تسوق أعظم حدث تشهده المدينة بعد الهجرة من إخراج اليهود ، ولم يكن مظنوناً إخراجهم ، فأثاهم الله من حيث لم يحتسبوا فكانوا موضع العبرة والموعظة . . ثم تأتي لموقف فريقين متقابلين ، فريق المؤمنين والكافرين . . يتمثل الفريق الأول في المهاجرين والأنصار وما كانوا عليه من أخوة ومودة ورحمة وعطاء وإيثار على النفس . .

ويتمثل الفريق الآخر في المنافقين واليهود ، وما كان بينهم من مواعدة وإغراء وتحريض ، ثم تخل عنهم وخذلان لهم .